



القرآن وشهر الصيام



بقلم

محمد مهدي نذير فُشْلان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحمد لله، نحمده ونستعين به ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً...

وأشهد أن لا إله إلا الله: إذا وقفَ العبادُ في ساحة العرضِ على الله ونُصبت الموازين، وقد أذهلت كُلَّ مرضعةٍ عما أرضعت ووضعت كُلَّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ، كان للعبد محاميان يدافعان عنه أمام الواحد الديان:

الصيام والقرآن؛ ((يقول الصيام: أَي رَبِّ مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهْوَةَ فَشَفِّعْنِي فِيهِ؛ ويقولُ القرآنُ: مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، فيقول الله لهما: قد شفعتكما فيه^(١)))

يارب: لك الحمد على أن بلغتنا شهر رمضان، اللهم تقبل

منا الصيام والقيام، واجعل هذا الشهر الكريم شاهداً لنا لا علينا، اللهم اجعلنا فيه من عتقائك من النيران، واجعلنا فيه من المقبولين الفائزين بالرضوان.

أيام معشر الصوَّام وافتكم البشرى وقد نشر الباري بمدحكمو ذكرا خصصتم بشهر فيه عتق ورحمةٌ وقد أجزل الرحمن للصائم الأجر مساجده مأنوسةً بتلاوةٍ وذكرٍ وكانت قبله تشتكي الهجرا

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وقائدنا وقرّة أعيننا محمداً رسول الله: يقول مبشراً أولئك الذين جعلوا للقرآن نصيباً في حياتهم: ((يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اقْرَأْ وَارْقُ، فَإِنَّ مَنَزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا))^(٢).

سيدي أبا القاسم يا رسول الله :

يا سيد العقلاء يا خير الورى ... يا من اتيت الى الحياة مبشرا وبعثت بالقران فينا هادياً ... وطلعت في الأكوان بدرأ نيرا والله ما خلق الإله ولا برى .. بشراً يرى كمحمد بين الورى

أما بعد فيا أحباب رسول الله: وهكذا يمرُّ موكب الأيام وكأنه لم يكن بين الرمضانين إلا عشية أوضحاها، ها هو شهر رمضان قد أقبل وقد مضى منه ستة أيام فمرحباً بمطهرنا. ولا شك أن بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمة عظيمة لا تدانيها نعمة. فاللهم سلمنا لرمضان، وتسلمه مني متقبلاً. ولاشك أن رمضان شهر الطاعات والقربات، وشهر الخيرات والبركات، فيه تضاعف الحسنات وتغفر السيئات والزلات؛ ولأجل ذلك ينبغي على المسلم التشمير عن ساعد الجد والطاقة من صيام وصلاة وقيام وصدقة وغير ذلك من أنواع البر. فقد قال التابعي الجليل فقيه العراق وحافظها إبراهيم النخعي: "صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم، وتسبيحة في رمضان أفضل من ألف تسبيحة، وركعة في رمضان أفضل من ألف ركعة"^(٣)

معاشر الأحبة:

اسمحوا لي أن أواصل الحديث عن برنامج العبادة في شهر رمضان حتى نغتني كل يوم من رمضان حقًا كما ينبغي. وقلنا إنه برنامج اقتصادي ليس فيه مبالغة في العبادة بحيث تنقطع بعد أيام... ولا شك أن العباد في ذلك متفاوتون لكن ((أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ)) فالقليل مع الدوام خير من الكثير مع الانقطاع.. وقد تحدثنا عن فضل صلاة التهجد ولو ركعتين ليلاً بشرط أن تواظب على ذلك طوال رمضان. وقد قال فيهما رسول الله: ((مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكَعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ^(٤))) وقد رأينا المصطفى لا ينظر إلى الكم والعدد في العبادة بقدر ما يؤكد على الحضور والتركيز أثناءها. ولذا قال حبر الأمة عبد الله ابن عباس التلميذ

الحكيم الذي تخرج من المدرسة المحمدية: "ركعتان مقتصدتان في تفكر، خير من قيام ليلة والقلب ساه^(٥)"

معاشر السادة:

ثم ماذا بعد صلاة الركعتين في جوف الليل قبيل الفجر؟! المحافظة على قراءة القرآن في كل يوم من أيام رمضان. فهناك ارتباط وثيق بين رمضان والقرآن. قال جلّ من قائل: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } [البقرة: ١٨٥] فأخبر -سبحانه- بخصوصية شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهم لإنزال القرآن العظيم فيه. بل لقد ورد في الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء، كما في مسند أحمد والطبراني في معجمه الكبير^(٦). بل كان جبريل عليه السلام يلتقي بالحبيب كلّ يوم في رمضان

فيدارسه القرآن^(٧). فحقيق بنا معاشر السادة زيادة الاهتمام والاعتناء بقراءة القرآن في شهر الصيام. قال صلى الله عليه وسلم: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ، مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى الضَّلَالَةِ^(٨))). وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على من يقرأه ويتدبره فقال جل شأنه: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ^(٢٩) لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ^(٣٠) } [فَاطِر: ٢٩-٣٠]

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ^(٩))) وفي رواية: (اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُدَافِعُ لِأَصْحَابِهِ^(١٠))) ولقد كان سلفنا الصالح _رحمهم الله ورضي عنهم_ تزيد عنايتهم بتلاوة

القرآن في شهر رمضان بالذات. فقد روي " أن الإمام مالك
 فقيه المدينة وأحد المذاهب الأربعة المتبعة كان إذا دخل
 رمضان يفرُّ من قراءة الحديث، ومجالسة أهل العلم، ويُقبل
 على تلاوة القرآن من المصحف. وكان سفيان الثوري كذلك
 إذا دخل رمضان، ترك النوافل، وأقبل على قراءة القرآن.
 وكان الإمام الزُّهري التابعي الجليل -رحمه الله- إذا دخل
 رمضان، قال لإخوانه: "إنه شهر تلاوة القرآن وإطعام
 الطعام"^(١١).

لكنَّ السؤال الهام هنا أيها الأحبة:

كم نقرأ كلّ يوم؟! إنَّ أدنى ما يجب علينا قراءته كل يوم
 عشر آيات. ينبغي أن لا ينقص عن ذلك. أما ما جزاء من
 حافظ كل يوم على قرائتهنَّ؟! فاسمع معي قول عبد الله
 بن عُمَرَ الذي يُعد من فقهاء الصحابة وقد قالت عائشة في

حقه: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَلْزَمَ لِلْأَمْرِ الْأَوَّلِ - أي اتباع كاملاً
 لرسول الله - مِنْ ابْنِ عُمَرَ^(١٢)". ماذا قال هذا الصحابي
 الجليل؟؟: "مَنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ بَعْشَرَ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ
 الْغَافِلِينَ^(١٣)".

وقد يقول قائل: إنني لأستطيع أكثر من ذلك بكثير فهل
 هناك ما يمنع أن أختتم في كل يوم جزءاً أو جزئين؟؟

أقول لا... لا مانع من ذلك بل في ذلك فضل وأجر
 كبير.. لكن لا يجوز ولا يحل لك أن تقرأ كتاب الله وكأنك
 تقرأ جريدة يومية.. كما يفعل بعض الناس يقول: لقد
 خصصت لنفسي أن أقرأ كل يوم جزءاً أو جزئين فيضيق به
 الوقت.... فتراه يقرأ القرآن هذرمة. والهذرمة: سرعة الكلام
 والقراءة مع ذهاب بعض مخارج الحروف. وقد عدها العلماء
 من المنكرات في القراءة.. قال عبد الله ابن مسعود رضي الله

عنه: "لا تهذّوا القرآنَ هذّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدّقل،
وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم
آخر السورة^(١٤)" فلا يكون هدف الإنسان وهمّه هو تكثير
الصفحات التي يقرأها، أو زيادة الختمات التي يختمها، بقدر
ما يكون له همّ في تدبر ما يقرأ ويتلوا .. قال تعالى لنبيه:
{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} أي: ليتفكروا فيما
اشتملت عليه آياته من أحكام حكيمة، وآداب قويمّة،
وتوجيهات جامعة لما يسعدهم في دنياهم وآخرتهم
{وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ} أي: وليتعض أصحاب العقول
السليمة بما جاء فيه من قصص وعبر ودروس. وقد سُئِلَ
مُجَاهِدٌ - رحمه الله - عَنْ رَجُلَيْنِ قَرَأَا أَحَدَهُمَا الْبَقَرَةَ، وَالْآخَرُ
الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فِي الصَّلَاةِ وَرُكُوعُهُمَا وَسُجُودُهُمَا وَاحِدٌ،
فَقَالَ: "الَّذِي قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَخَذَهَا أَفْضَلُ"^(١٥). وقال ابن عباس

رضي الله عنهما: "لأن أقرأ البقرة أرتلها وأتدبرها أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة^(١٦)" وَلِذَلِكَ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ يُرَدِّدُ الْآيَةَ الْوَاحِدَةَ إِلَى الصَّبَاحِ.. قال مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ -رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ- التابعي الجليل صاحب المكانة السامية في تأويل كتاب الله، حتى قال عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ مِنَ الْقُرْظِيِّ" قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَأَنْ أَقْرَأَ فِي لَيْلَتِي حَتَّى أَصْبَحَ (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ، وَالْقَارِعَةُ) لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا وَأَتَرَدَّدُ فِيهَا وَأَتَفَكَّرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَهْذَّ الْقُرْآنَ هَذَا، أَوْ قَالَ : أَنْثَرُهُ نَثْرًا (١٧)"

أيها الأحبة:

إذن نضع كتاب الله بين أيدينا والتفسير عن يميننا حتى نرضي ربنا..، ولا أريد أن أطيل عليكم .. فالوقت قد مر سريعاً، والحر شديد.. نسأل الله تعالى أن يجعل القرآن

العظيم ربّيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء همومنا وغمومنا
وأحزاننا، اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا،
وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، اللهم نور بكتابك
أبصارنا واشرح به صدورنا، وأطلق به ألسنتنا، واستعمل به
أجسادنا، اللهم اجعل القرآن لنا في الدنيا قريناً، وفي القبر
مؤنساً، وعلى الصراط نوراً، ويوم القيامة شفيعاً، وإلى الجنة
دليلاً، ومن النار سترًا^(١٨).

بـقـلـم

محمد مهدي نذير قشلاق
رجاء دعوة طالحة

تفريع وضبط لفظة: القرآن وشهر الصيام

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ والطبراني والحاكم . قال الحافظ الهيثمي :

ورجال الطبراني رجال الصحيح.. مجمع الزوائد ومنبع

الفوائد ٣ / ١٨١

(٢) بهذا اللفظ رواه البيهقي في الشعب ٣ / ٣٧٩ ، وهو عند

الترمذي وأحمد بلفظ قريب

(٣) الدر المنثور ١ / ٤٥٤ . جلال الدين السيوطي (المتوفى:

٩١١هـ)

(٤) سنن أبي داود ٢ / ٥٨٢ . وإسناده صحيح.

(٥) مختصر [قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر] المؤلف:

أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (المتوفى:

٢٩٤هـ) اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقرئ. الناشر:
حديث أكاديمي، فيصل آباد - باكستان. الطبعة: الأولى.

(٦) عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان)) قال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث. وبقيّة رجاله ثقات.

(٧) صحيح البخاري ٦/١. برقم (٦)

(٨) صحيح ابن حبان ٣٣٠/١. برقم (١٢٣).

(٩) صحيح مسلم ٥٣٥/١.

(١٠) الطبراني في المعجم الكبير ١٨/٨

(١١) انظر هذه الأخبار وغيرها في لطائف المعارف فيما لمواسم

العام من الوظائف ص: (١٧١) لابن رجب الحنبلي.

(١٢) البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ص: (١٥٠)

(١٣) مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) ٤ / ٢١٦٩.

وقد روي مرفوعاً: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ

الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَرَأَ بِأَلْفِ

آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطَرِينَ» صحيح ابن خزيمة ٢ / ١٨١.

(١٤) المُصَنَّف لابن أبي شيبة ٦ / ٥٣. وقد ذكره البيهقي في

الشعب ٣ / ٤٠٦

(١٥) التبيان في آداب حملة القرآن ص: ٨٩. الإمام أبي زكريا بن

شرف النووي رحمه الله تعالى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ

(١٦) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (المتوفى: ٥٠٥ هـ)

١/٢٧٧. بلفظ: " لِأَنَّ أَقْرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ أُرْتُلُّهُمَا
وَأَتَدَبَّرُهُمَا أَحَب "

(١٧) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ١ / ١٣٣. المؤلف: أبو

زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي
(المتوفى: ٨٧٥ هـ).

(١٨) أُلقيت هذه الخطبة في أحد مسجدي عَمَّان عام ١٤٣٨ هـ

-٢٠١٧ م. كما أُلقيت في بعض المراكز الإسلامية الدعوية.